المحاضرة الثانية:

أطروحة "مجتمع المخاطر"

نظرية أورليتش بيك (Ulrich Beck)

يعـرض أولـريش بيـك في كتابـه التحديثيـة المنعكسـة: السياسـات، والتقاليـــد، والجماليـــات في النظـــام الاجتمـــاعي الحـــديث (reflexive modernization politics tradition and aesthetics in the modern social order) طريقـة جديـدة للتفكـير في تـأثيرات التحديثيـة المنعكسة العملية السياسية، حيث يشـير إلى أن الحداثـة لم تتلاشـى بعـد، ونحن لم نتجاوزهـا؛ فـالتغيير الاجتمـاعي الراديكـالي كـان دائمـاً جـزءاً من الحداثة، والجديد هو أن الحداثة قد بدأت في تحديث مرتكزاتها الخاصة. لقد نكصت على عقبيهـا وارتـدت إلى جـذورها التكوينيـة ومن هنـا جـاءت دلالـة المفهوم: التحديثية المنعكسة.

إن التدمير الذاتي للتحديثية الغربية الـتي انبثقت عن الحـرب البـاردة, عنـدما وقفت هـذه الحضـارة بصـلابة واتـزان من أجـل عولمـة الرأسـمالية والديمقراطية، ولكن هذا التقدم الخطي الذي بشرت به (الحداثة البسيطة) وهو مصطلح بيك ضمن تقسيمه المرحلي للحداثة إلى (1) ما قبـل الحداثـة ثم (2) الحداثة الأولى أو البسيطة أو تطـور المجتمـع الصـناعي وأخـيرا (3) الحداثة المنعكسة لم يحدث أبدا. لقد قوضت (الديناميكيـة الصـناعية عاليـة السرعة) هياكل الحداثة البسيطة بإصرار مطرد. وقد حدث ذلك دون تـدخل سياسي أو ثورة. لقد كان التحول غير مقصود، وغير سياسي، وغير مخطـط له. وكانت النتيجة هي الحداثة الجديدة أو (التحديث المنعكس) الذي يتنـاول الحداثة البسيطة جذريا بتحطيم (مقدماتها ومعالمها). الأمر الذي أسفر عن عدم يقين في العمليـات الاجتماعيـة والسياسـية، واسـتدعى المطالبـة بنهج تحليلي يمكننا من (فك رموز) هذه العمليات وإقامة سياسة جديدة.

ويتفق أولريش بيك و أنتوني جيدنز في كـون أن (فكـرة المخـاطرة) بالمعنى الذي ارتبط بمجتمعات الحداثة قد ظهـرت فجـر النهضـة الأوروبيـة في القرنين السادس عشـر والسـابع عشـر ، إذ ارتبطت بظهـور الاحتماليـة في الحساب، حيث سجل تاريخ العلم أن القرن السابع عشر مولـد حسـاب الاحتماليـة، أي مولـد أول محاولـة في التحكم فيمـا هـو غـير متوقـع وذلـك بحساب إمكانية النجاح والخسارة مقابل المكان والزمان، حيث يقول جيدنز أن المخاطرة ارتبطت أولا بالمكان (الإبحـار) ثم بالزمـان (الاسـتثمارات)ـ وإنـه من الأهميـة بمكـان، أن نوضـح أن البحث في موضـوع المخـاطر في الفترة المعاصرة كـان وليـد ظـروف مجتمعيـة ومشـكلات جمـة طفت على السطح على مختلف الأصعدة أهمهـا الصـعيد البيـئي، وكـذا الصـعيد الأمـني والسياسـي، والاقتصـادي، والثقـافي، والاجتمـاعي .. وكـل ذلـك كـان من مخلفات الحداثة التي وجهت المؤسسـة العلميـة- التكنولوجيـة والاقتصـادية نحو خدمة وتحقيق انتصاراتها في الوقت الذي كان المجتمع يـدفع ثمن تلـك

الانتصارات (العلميـة خاصـة) فبـدأت تظهـر في الجهـة المقابلـة إخفاقـات مُقَابِل تلك الانتصارات، تمثلت أكـثر مـا تمثلت في الـدمار البيـئي (إنسـان - حيـوان - أرض - هـواء - ميـاه ..) في صـورة دراماتيكيـة رسـمت ملامحهـا سياسة التصنيع والتجارب النووية والحروب الكيماويـة وغيرهـا ، وهـو الأمـر الذي أثر بدوره على البعد الاجتماعي والثقـافي من جهـة أخـرى، وذلـك من حيث انقطاع الربـاط الاجتمـاعي، فبـاتت العلاقـات الاجتماعيـة كمـا أصـفها "علاقـات طيـارة " فمن جهـة هي تتشـكل وتنتهي بسـرعة بصـورة تنـذر بـالخطر، ومن جهـة أخـرى هي غـير محـدودة وثابتـة وإنمـا تتمـدد وتتطـاير متحدية المكان والزمـان بفضـل تكنولوجيـا الاتصـالات الرقميـة خاصـة تلـك العلاقـات "الافتراضـية " والـتي شـكلت أخطـارا على العلاقـات الاجتماعيـة "الحقيقية " إضافة إلى أن توسع شبكة العلاقات الاجتماعية عبر الفضـاءات الالكترونية قد يحمل في طياته مخاطر توسـع شـبكة العلاقـات " الإجراميـة

" .. وكذا تغذية صراعات ونزاعات إثنية وعرقية ذات بعد ثقافي - ديني ممـا قد يترتب عنه أيضا مخاطر وأخطار أخرى عالمية على صعيد آخر، و هكذا.

و يعرف أولـريش بيـك مجتمـع المخـاطر بأنـه "حالـة من توافـق الظـروف أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية والأخطار التي يفرضـها اتخـاذ القـرارات محـل شـك ". وهنـا نلاحـظ أن المخـاطرة مرتبطـة باتخـاذ القرار بشأن سلوك ما قد يحقق لنا : إما فرصـة وإمـا خطـرا . ومـع تفـاقم المخاطر والأخطار مقابل الفرص فإن مجتمـع المخـاطرة بـات يعيش حالـة من عدم الأمان وأيضـا الشـك وفقـدان اليقين بخصـوص إمكانيتـه ومقدرتـه على مواجهة تلك المخـاطر (risks) والأخطـار (dangers) والتحكم فيهـا مكانيا وزمنيا. ولهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي.

و يرى أولريش بيـك أن "مجتمـع المخـاطرة " قـد ظهـر مـع منتصـف القرن العشرين، وهو مجتمع ساخط على تبعات الحداثة السلبية، يبحث في كيفية إدارة المخـاطر (Risk management) والأخطـار بالوقايـة والعلاج معا . وهو ما أوضحه في كتابه (مجتمع المخاطرة) الذي كتبه عـام 1986، مشيرا إلى أن مجتمعات النصف الثاني من القـرن العشـرين بـاتت مرغمـة على مواجهة سلبيات الحداثـة وإيجـاد الحلـول والبـدائل المناسـبة لمجابهـة تحدياتها وإدارتها، وهو مـا أسـماه ب " عقـد المخـاطرة " أي مـدى القـدرة على التحكم في التهديـدات والأخطـار الناجمـة عن الصـناعة والقـدرة على تعويضها .. غير أنه في كتابه الآخر الذي كتبه بعد عشرون سنة من ذلـك ، و هـو كتـاب (مجتمـع المخـاطر العـالمي : بحثـا عن الأمـان المفقـود) عـام 2006 ، قد فـرق فيـه بين مجتمـع المخـاطرة ومجتمـع المخـاطر العـالمي، حيث هنا يظهر جليا أنه يتحدث عن "مجتمع عـالمي " تنتشـر فيـه المخـاطر والأخطار في مختلف الأقطار لعبت فيها العولمة وانسيابية التــدفق وتخطي

الحدود القوميـة دورا بالغـا في : عولمـة المخـاطر والأخطـار، ومنـه توسـيع نطاق عدم الأمان المصطنع .إذن، مجتمـع المخـاطر العـالمي هـو المجتمـع العالمي الذي اشترك في احتضان المخاطر والأخطار، بعدما كانت المخاطر والأخطار لا تتعدى حدود الدولة القومية ها هي اليوم في عصر العولمـة قـد تخطت الحدود القومية لتتدفق في مختلف الاتجاهات ومثال ذلك الجماعات الإرهابية "المصنعة " وفيروس كوفيد 19.